تبريز جوهرة طريق الحرير

الدار البيضاء – نورالدين سعودي

تبريز، ثالث أكبر مدينةَ وإحدى أقدم المدن الإيرانيةَ، تشد السائح بعمق جذورها التاريخيةَ والحضاريةَ وطبيعتها الجبليةَ الأخاذة وحفاوة أهلها.

إيران، فارس قديما، جذبت عبر التاريخ اهتمام العديد من أشهر الرحالة في العالم (مثل ياقوت الحموي و التاجر والرحالة الإيطالي ماركو بولو والرحالة الفرنسي شاردان) إضافة إلى التجار الذين كانوا يأتون إليها لاقتناء سجاداتها الدائعة الصيت وأولئك الذين يهتمون ببيع وشراء الحرير، والذين كانت قوافلهم

تعبر ما كان يعرف قديما بطريق الحرير، وهي الطريق التي كانت تمتد من أوروبا إلى الصين.

وتعتبر تبريز من أهم المدن الإيرانية التي تقع على طريق الحرير. هذه المدينة الجميلة توجد على بعد ٥٩٧ كلم من العاصمة طهران، في شمال غرب إيران، على السفح الجنوبي لجبل سرخاب ويحيط بها من الجنوب جبل سهند، ومن الشرق جبل قوشة، وهي عاصمة محافظة أذربيجان الشرقية. وهذه المحافظة هي إحدى المكونات الثلاثة لمنطقة أذربيجان الإيرانية الواقعة في أقصى شمال غرب الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وهي بموقعها على الحدود مع أذربيجان والعراق وتركيا، تعد من المناطق الهامة والحساسة من الناحيتين الجغرافية والإستراتيجية.

ومدينة تبريز البالغ عدد سكانها ١٤٦٠٠٠٠ نسمة (عام ٢٠٠٦) تعد ثالث أكبر مدينة وإحدى أقدم المدن الإيرانية وأهم مركز الثقافي للأذربيجانيين الإيرانيين، وهي أكبر المدن التي يرتكزون فيها. أغلب سكانها يتحدثون الأذربيجانية، وهم من أصول تركية. كانت تبريز عاصمة لدولة الإلخانات ثم للدولة الصفوية.

تاريخ عريق

حسب عدد من المؤرخين، ثمة دلائل من بينها لوحة حجرية تعود إلى عصر الآشوريين (٣٠٠٠ سنة قبل الميلاد) تذكر مركزا حضريا بالمنطقة. إلا أن غالبية المؤرخين تقر على أن تبريز تم بناؤها على يد زبيدة خاتون زوجة الخليفة العباسي هارون الرشيد. وعرفت المدينة أول ازدهارها في عهد دولة الإلخانات، وبالتدقيق بين ١٢٧٠ و١٣٠٥. وبعد تدميرها من قبل تيمورلنك المغولي سنة ١٣٩٢، سرعان ما أعيد بناؤها. غير أن أوج ازدهارها عاشته المدينة في إطار الدولة الصفوية التي جعلها ملوكها عاصمة لإيران من ١٥٠٢ إلى ١٥٤٨.

بعد ذلك، مرت تبريز بمرحلة انحسار مع نقل العاصمة إلى مدينة قزوين. ولم تستعد مكانتها إلا مع دولة القاجار (١٧٨٦-١٩٢٥)، حيث اتخذها أمراؤها مقرا لإقامتهم، وستعرف انتعاشا اقتصاديا هاما في منتصف القرن التاسع عشر ميلادي، مع انفتاح إيران على الغرب، حيث أصبحت نقطة عبور أساسية إلى البحر الأسود بالنسبة لمناطق إيران الداخلية.

تتميز الأنشطة الاقتصادية لتبريز بإنتاج السجاد ذي الجودة العالية والمعروف

عالمياً بسجاد تبريز، حيث أنها تعتبر أهم مركز لإنتاج هذا المنتوج الذي يسوق وطنياً وعالمياً. هذا، بالإضافة إلى صناعات المنسوجات، والغذاء، والأحذية، وغيرها. وهي مركز تجاري من الدرجة الأولى يرتبط بأهم المدن الإيرانية عبر الشبكة الطرقية والشبكة السككية، إضافة إلى توفرها على مطار.

أهم مآثرها

يعد المسجد الأزرق أحد المراكز المعروفة في المدينة، حيث بني في القرن الخامس عشر وفق تصميم عمراني بديع وزخرفة متميزة وزليج داخلي يغلب عليه اللون الأزرق. كما يوجد في المدينة متحف أذربيجان ودار الدستور، وهي منزل حول إلى متحف يؤرخ للحركة الدستورية التي انطلقت من المدينة في بداية القرن العشرين. ومن المعالم الأخرى في المدينة أو بناحيتها هناك قبر محمود غازان، الذي كان حاكم سلالة المغول في إيران، والقبر متشكل من ١٢ ضلعاً، وحصن باباك الواقع على قمة مرتفع يصل إلى ٢٧٠٠ م فوق سطح البحر.

وتجدر الإشارة إلى أن تبريز التي تقع

على ارتفاع ١٤٠٠ م فوق سطح البحر، تحظى بمناخ قاري، يكون حاراً وجافاً في فصل الصيف، وبارداً في فصل الشتاء، مع سقوط الثلوج. مما يجعلها مناسبة لمن يبحث عن الاستجمام والراحة البال . كما أنها تتوفر على عدة مواقع طبيعة جميلة محيطة بها وعلى رأسها بحيرة أورومية الجميلة، أكبر بحيرة في إيران، ذات المياه المالحة التي تستقبل آلاف الطيور المهاجرة. وتعتبر هذه البحيرة فريدة من حيث العمق والمساحة والعناصر الكيميائية ورسوباتها وبيئتها. هذا ما أهلها إلى أن تحتل مكانا في اللائحة الدولية للمحميات الطبيعية. ويوجد عدد من الموانئ على سواحل البحيرة.

وهناك أيضا بحيرة قورى كؤل التي توجد على مسافة ٤٥ كلم على الطريق الرابطة بين تبريز وطهران. وهي كذلك مسجلة ضمن لائحة المحميات الطبيعية الدولية لمميزاتها البيئية بالنسبة للحياة البرية.

بهذه المعالم الحضارية والمؤهلات الطبيعية والمناخية تعد تبريز مكانا مثاليا للاستجمام وقضاء العطل خاصة وأن أهلها يستقبلون ضيوفهم بحفاوة وترحاب.